# الفصل الرابع

## سعيد أحمد البالنبوري: مساهمته في علوم الحديث والتفسير

# الفصل الرابع

# سعيد أحمد البالنبوري :مساهمته في علوم الحديث والتفسير

## ضوء خاطف على التعريف بعلوم التفسير:

مما لاشك فيه أن الله عز وجل جعل كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا وهدى ينقذ بهما الأمة المرحومة من ظلمات الغواية إلى نور الحق والصراط المستقيم، ولقد نجح في الدارين من تمسك بهذين المصدرين للتشريع الإسلامي، ومن زاغ عنهما فقد ضل عن السبيل الأقوم وظلم نفسه واعتدى عليها.

ومن منن الله تعالى على هذه الأمة أنه جعل فيها رجالا قائمين بهما من عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إلى ما قبيل قيام الساعة، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن معاوية صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ''لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتيهم أمر الله وهم على ذلك[1].

وقد أنجز الله سبحانه وتعالى ما وعده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فأنشأ على ظهر الأرض حملة القرآن ورواة الحديث الذين حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب وعلّموه رواية ودراية وفسَّروه ونقلوا الحديث إلى من بعدهم فشرحوه شرحاوافيا.

ومن هؤلاء المفسرين العباقرة وفحول العلماء شيخنا سعيد أحمد البالنبوري الذي

---

[1] البخاري أبواب المناقب: 514/1، ومسلم كتاب الإمارة: 143/1.

له خدمات جليلة ومآثر بارزة في نشر علوم الحديث والتفسير. لقد وفقه الله سبحانه وتعالى أن يقضي حظا وافرا من حياته المديدة في تدريسها والتاليف فيها في أكبر جامعة من جامعات شبه القارة الهندية. وتخرج عليه كثير من المحدثين والمفسرين الذين خدموا ويخدمون الكتاب والسنة في مناطقهم خدمة مشكورة، ويوقظون الوعي الإسلامي في قلوب شباب المسلمين.

وقبل أن نستوعب خدماته في علوم الحديث والتفسير يجدر بنا أن نأتي بتعريف الحديث والتفسير وأن نلقي ضوء عابرا على نشأة علوم الحديث والتفسير في الهند ومكانتهما بين العلوم الدينية.

أما التفسير لغة فهو الإيضاح والتبيين.واصطلاحاعلم يبحث فيه عن القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية[٢].

يقول الله تعالى خطابا لرسوله عليه السلام : «وأنزلنا إليك الذكر لتُبيّن للناس ما نُزّل إليهم»[٣] كما يقول في سورة «آل عمران»: لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيـٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»[٤].

فخرج من التعريف المذكور علم القراءات؛ فإنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث ضبط ألفاظه، وكيفية أدائها.«بقدر الطاقة البشرية» لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات، ولا عدم العلم بمراد الله تعالى في الواقع ونفس الأمر.

---

٢ مقدمة الفوز الكبير: 13.

٣ سورة النحل، الآية: 44.

٤ سورة آل عمران الآية: 164.

وموضوع اعلوم السفسير: كلام الله تعالى من حيث دلالته على مراد الله تعالى.وغرضهاالاهتداء بهداية الله تعالى، والتمسك بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الأبدية.

وفضائلهاكثيرة و منها:

(1) تكفل الله تعالى بنفسه ببيان كلامه الشريف، قال الله تعالى: «ثم إن علينا بيانه»[٥] فالله تعالى هو المفسر الأول لكلامه القديم وكفى به فضيلة.

(2) جعل تفسير القرآن الكريم وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»[٦] فبينه النبي – عليه السلام – بقوله وفعله، فهو المفسر الثاني لكتاب الله تعالى، وكفى به قدوة.

(3) دعا نبينا عليه السلام لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأن يرزقه الله علمَ التفسير ويوفقه له؛ حيث قال: «اللهم عَلّمه الكتاب» وفي رواية: «اللهم علّمه التاويل» وشهد بلباقته وعبقريته عبد الله بن مسعود ؓحيث قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، فهل فوق ذلك من فخر يفتخر به الناس.

(4) وجُعل خير الناس من تعلم القرآن وعلّمه الناس، وهذا عام الألفاظ القرآن ومعانيه؛ بل هو أولى، وناهيك به من عَلياء!

أما التفسير والتأويل فهما بمعنى واحد عند الأئمة المتقدمين، وأما عند الأئمة المتأخرين، فقال الإمام أبو منصور الماتريدي التفسير: القطع بأن المراد من اللفظ هذا،

---

٥ القيامة: 19.
٦ النحل: 44.

والشهادة على الله أنه عَنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه. والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله.

والتفسير بالرأي هو التفسير بالهوى، والتفسير من عند نفسه، بحيث يوجب تغييرا لمسألة إجمالية قطعية، أو تبديلا في عقيدة السلف المجمَع عليها. وأما التفسير بالدليل والقرينة فهو لتفسير صحيح معتبر في الشرع.

قال الشيخ أنور شاه الكشميري: إن التفسير إذا لم يوجب تغييرا لمسألة أو تبديلا في عقيدة السلف، وفليس تفسيرا بالرأي؛ فإذا أوجب تغييرا لمسألة متواترة أو تبديلا لعقيدة مَجمع عليها فذلك هو التفسير بالرأي وهذا الذي يستوجب صاحبه النار.

وحينئذ لا حرج فيما فسره المفسرون من أذهانهم الثاقبة، وأفكارهم الصحيحة، ومن يطالع كتب التفسير يجدها مشحونة بالتفسير بالرأي، ومَن حجر على العلماء أن يبرزوا معاني الكتاب بعد الإمعان في السياق والسباق، والنظر إلى حقائق الألفاظ ومراعاة عقائد السلف؛ بل ذلك حظهم من الكتاب فإنهم هم الذين ينظرون في عجائبه، ويكشفون عن وجوه دقائقه، ويرفعون الحجب عن خبيات حقائقه، فهذا النوع من التفسير بالرأي حظ أولي العلم، ونصيب العلماء المستنبطين. أما من تكلم فيه بدون صحة الأدوات، ولا عنده علم من كتاب السلف والخلف، ولا له ذوق بالعربية، وكان من أجلاف الناس، لم يحمله على تفسير كتاب الله غير الوقاحة، وقلة العلم، فعليه الأسف كل الأسف، وذاك الذي يستحق النار[٧].

---

[٧] فيض الباري: 15/4.

# الفصل الأول

## مساهمة البالنبورى فى علوم التفسير

ولما كان مصدر التشريع الإسلاميّ الأصيل هو القرآن الكريم فمنذ بداية التدريس بذل الشيخ البالنبوري بالغ عناياته نحو علوم القرآن، ولقد وفقه الله تعالى أن يمارس التدريس في جامعة دارالعلوم ديوبند. ومن المعلوم أن الجامعة جعلت مادّة التفسير جزءا من منهجها الدراسيّ. فمنذ أول يوم تبتني طريقة التدريس على استيعاب نواحي البحث، فالمدرس يكون من مسؤوليته أن يبين وجوه الربط بين الآيات القرآنية، ويكشف القناع عن حقائق كلام الله ، وينبه على الروايات الواهية التي تورد في كتب التفسير، وأن يبين في آيات الأحكام طريقة استنباط الفقهاء والأحكام الشرعية و وجوه استدلالهم من تلك الآيات، كما أنشأت الجامعة قسما خاصًا باسم «تكميل التفسير» للدراسات العليا في التفسير.

أما الكتب التي درّسها الشيخ في الجامعة بجدارة وأهلية مشكورتين فهي فيما يلي:

1 - «تفسير الجلالين» للإمامين جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى (المتوفى 910هـ) وجلال الدين المحلي.

2 - «*تفسير المظهري*» للشيخ القاضي ثناء الله الفانيفاتي (المتوفى 1225هـ).

3 – «*تفسير البيضاوي*».

4 - «*الفوز الكبير*» للإمام ولي الله الدهلوي (المتوفى 1176هـ).

وقد درّس الشيخ الكتب المذكورة في التفسير بجهوده المكثفة واهتمامه البالغ فكان

يُجهّز الدرسَ ويُحَضر المحاضرة قبل أن يلقيها، وهو يحمل قدرة الإقناع وتقريب الموادّ إلى أفهام الطلاب بأسلوبه الممتع، ولسانه الرشيق، ورصيده الثر من الدراسة المختمرة، وقبل ذلك وبعده بذكائه المتيقظ، وحضوره بديهته وإرهاف ذهنه. وذلك كله جعله استاذا فريدا، حمَّ المنافع، كثير الإفادة.

ومن جهة أخرى له تاليفات عديدة تتعلق بعلوم التفسير وتدل على سعة علمه ودقة نظره، ووفرة اطلاعه، تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول، ويعتبر بعض منها من كتب المقررات الدراسية المتَّبَعة بين المدارس الإسلامية في شبه القارّة الهندية، ولم يزل مرجعا وثيقا بين الطلاب والعلماء، قلما يستغنى عنها باحث أ ومدرس بعلوم القرآن. ومن أهم كتبہ فی علوم التفسير مايلی :

**1 – *الفوز الكبيرفی اصول التفسير(تحقيق وترجمة الفوز الكبيرإلى العربی)***

صنفه الإمام الشيخ أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي بلغة محلّية فارسية وكان الكتاب موجزا مختصرا. وكان رحمه الله يدرّس بدوره طول حياته، ثم بعده لايزال يدرّس في المدارس والمعاهد الدينية بالهند؛ لأن الكتاب وإن كان صغير الحجم قليل الأوراق ولكنه أجدى من تفاريق العصا، وأنفع من الغيث في أوانه.

ومنذ زمن طويل كان الطلاب يقرؤونه باهتمام بالغ ورغبة تامّة في أنحاء البلاد الهندية؛ لأن اللغة الفارسية كانت تُنطق وتفهم في البلاد. فلما انقضى عصرها، وما بقيت اللغة الفارسية مفهومةً إلا لدى جماعة قليلة من أهل العلم أحسّ عالم هنديّ بالحاجة إلى الترجمة ونقلها إلى العربية، فقام بهذا العمل المهمّ بدون أن يُبدي اسمه. ونسب الترجمةَ إلى الشيخ محمد منير الدمشقي، صاحب المطبعة المنيرية الشهيرية بدمشق، كما حكاه الشيخ سلمان الحسيني الندوي، عن سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي في ترجمته للفوز الكبير؛ حيث قال:

«كما نقرأ على غلاف الكتاب اسم المترجم لكتاب: الشيخ محمد منير الدمشقي، ولم نكن نعرف عنه إلا هذا الاسم من هو؟ متى ترجم الكتاب؟ هل كان يعرف الفارسية أو استعان باحد في الترجمة؟ وهل له شيء آخر غير ذلك يتعلق بالإمام الدهلوي؟ أسئلة كانت ترد على الذهن وتثور في النفس بغير جواب».

وفي هامشه:

«سمعت من سماحة شيخنا الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي حفظه الله أن هذا الكتاب ترجمه أحد العلماء في الهند، ونسب إلى الشيخ محمد منير الدمشقي صاحب المطبعة المنيرية، واشتهربه».

ولكن كان في هذه الترجمة هجنة وسقط وغموض وخطأ في مواضع شتى، وكانت الحاجة ماسة إلى الترجمة الصحيحة الدقيقة، ولكن المدرسين له كانوا عارفين باللغة الفارسية، فكانوا يرجعون إلى الأصل الفارسي حيثما يشعرون بصعوبة في حل الكتاب.

وعندما قام الشيخ البالنبوري بتأليف «العون الكبير» في شرح «الفوز الكبير» شعر بحاجة إلى مقابلة الترجمة بالأصل الفارسي، فقام بهذا الأمر المهم حيثما وجد الغموض في التعبير، أو الخلل في العبارة، أو الخطأ في أداء الغرض ونبّه عليه في الشرح، و وضع الترجمة الصحيحة في الشرح، ولم يغيّر أصل الكتاب.

وما زال *العون الكبير* يطبع من سبائك حديدية، حتى ذهب روائُها وبهائُها فأراد الشيخ طبع الكتاب بالكمبيوتر، فنظر في الكتاب مرة أخرى، فلم يعجبه الأسلوب، واطلع أثناء ذلك على أخطاء كثيرة جديدة، طفيفة وجليلة، فمست الحاجة إلى المراجعة مرة أخرى.

وإلى جانب ذلك القائمون بتدريس الكتاب في جامعة دارالعلوم ديوبند وكذا في

الجامعات الأخرى في الهند أصرّوا عليه مرّات أن يقوم بترجمة الكتاب من جديد. فاستجابةً لمتطلبات هؤلاء العلماء البارزين وخدمةً لطلاب علوم الكتاب والسنة قام الشيخ البالنبوري بهذه المسؤولية الهامّة – بتوفيق ربه المليك الوهّاب . ولا يخفى على من يطالع الكتاب أن الشيخ قد بذل جهودا مشكورة في تهذيب التعريب. وإنه جعل الترجمة القديمة أصلا، وغيّر العبارة في مواضع الضرورة، وعلق في مواضع الضرورة تعليقا موجزا، وقَسَم أجزاء الكلام ورقّم الكتاب وعَنْوَنَه من جديد. وقبل أن تبرز الكتاب من خِدره طلعت ترجمة جديدة للأستاذ الشيخ سلمان الندوي فاستفاد منها الشيخ في تهذيب التعريب. فصار الكتاب غَضّا طريّا. وطبع في تصنيف جميل وحلة قشيبة، فنال الكتاب سمعة طيبة في المدارس الإسلامية فتلقاه العلماء والطلاب وأرباب الجامعات بالقبول.

ثم قدّمه الشيخ مولانا مرغوب الرحمان البجنوري – مديرا للجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند سابقا إلى المجلس الاستشاري للجامعة فقرره للتدريس في الجامعة وفي المدارس الإسلامية الأخرى. وما زال ولايزال الكتاب مدروسًا داخلا في المقررات الدراسية للمدارس الإسلامية.

### 2 – *العون الكبير شرح الفوز الكبير:*

هذه تعليقات مفيدة على «*الفوز الكبير*» فهذا الشرح عون كبير لمن يقراء الفوز الكبير، ودليل مرشد لمن يطالع أصول التفسير، وقد بذل الشيخ البالنبوري سعيًا مشكورا في الشرح وتوضيح الكتاب،وإيضاح المرام وتسهيله،وسعى في كثير المواضيع أن يشرح نَصَّ الكتاب بنصّ صاحبه الإمام الدهلوي من مآخذه الأخرى، فقرّب البعيد، وجمع الشتيت وسَهّل الطريق.

كما أضاف الشيخ على الشرح مباحث مهمّة من الكتب العربية والأردية، لاسيما استفاد من تأليفات الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس دارالعلوم ديوبند، فازداد الكتاب نفعا.

فالشيخ الإمام ولي الله الدهلوي مع جلالة قدره وعلو مكانه، له آراء لا تتفق مع آراء جماهير العلماء. فالشيخ البالنبوري استدرك على الإمام المصنف قوله في مواضع عديدة وأتبعه بالصواب المختار لدى الأئمة والأقطاب الآخرين حيثما مست الحاجة الشديدة إلى ذلك. وقد قال العلامة محمد يوسف البنوري في تأليفه «معارف السنن»: للشيخ ولي الله رحمه الله في كتبه آراء، مع جلالة قدره، يشكل أن يوافق عليها[٨].

فقام الشيخ البالنبوري بشرح «الفوز الكبير» مراعيا فيه أمورا خمسة، كما يلي بلسانه:

قابلت الترجمة بالأصل الفارسي، ولم آل جهدا في توضيح الكتاب وتبيينه وإيضاح المرام وتسهيله، واجتهدت في كثير من المواضع أن أشرح كلام الإمام المصنف بكلامه من مآخذه الأخرى، وعنونتُ المضامين، وسمّيت أجزاء الكلام، ورقمتُ الكتاب، فأرجو أن يكون الكتاب بذلك عضّا طريّا، وأضفت إلى الشرح مباحث مهمّة من الكتب العربية والأردية، واستدركت على الإمام قوله في مواضع عديدة، واتبعته بالصواب، حيثما مسّت الحاجة الشديدة إلى ذلك[٩].

وقدتلقى الناسُ هذا الكتاب بالقبول، وذاع صيته، وحظى بعطف الأئمة الكبار ولطفهم.

### 3 – *هداية القرآن:*

إن القرآن الكريم لايزال يبقى مصدرًا للتشريع ما دامت السماوات والأرض، وهدى وبينات من ربنا يهتدي بها الأمة المرحومة إلى قيام الساعة. وقد تحمل الله سبحانه وتعالى نفسُه المسؤولية بالحفاظ عليه فلا يستطيع أحد من الناس أن يغيره و أو يبدّله أو يحرّفه أي تحريف.

---

[٨] مقدمة العون الكبير للمؤلف، ص: 6.

[٩] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين 152، نقلا من مقدمة الكتاب.

ولقد وفق الله سبحانه وتعالى كثيرا من العلماء المتضلعين من علوم الكتاب والسنة لأن يخدموا هذا الكتاب العظيم. فكم من جماعة بذلت سعيا مشكورا في الاحتفاظ بألفاظه وظواهره بحفظه في قراءة نفوسهم كما أن فئات من فحول العلم كثفوا المجهودات في نقله وترجمته إلى لغتهم، وتفسيره، وحل غوامضه واستخراج المسائل المهمة من آياته. ومن المعلوم أن القرآن اسم للنظم والمعنى جميعا فبعض العلماء قضواحياتهم خادمين له، كما أن جماعة أخرى منهم أتبعوا نفوسهم بكشف الستائر عن معانيه البديعة وفصاحته الموفورة وبلاغته المؤثرة. ولكن المقصود والمطلوب من نزول القرآن هي المعاني التي تكنه ألفاظ المصحف في أحضانه وهذه المعاني والغرائب تهدي الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم إلى قيام الساعة. قال النبي عليه الصلاة والسلام : لا يتشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الردّ، ولا تنقضى عجائبه"[١٠].

وهذا هو فضل القرآن الكريم وجهود العلماء المتقنين التي بها صارت اللغة العربية لغة عالميّة، ولولا القرآن والإسلام وجهود العلماء في الحفاظ على كتاب الله تعالى ودينهم لما انتشرت هذه اللغة في أنحاء العالم؛ إذ أن العلماء أجهدوا أنفسهم في دراستها، واستكناه أسرارها ليقفوا على مواطن الإعجاز في كتابه العزيز. فذهبت طائفة من العلماء إلى البادية لأخذ اللغة من الأعراب الفصحاء، وتدوينها صافية، لم تشبها شوائب العجمة التي بدأت في الدخول إليها من الأقطار المفتوحة. ومن العلماء الأجلاء الذين أبلوا بلاء حسنا في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، والأصمعي، ويونس بن حبيب الضبي، وأبوزيد الأنصاري وغيرهم.

في الوقت الذي أخذ الناس في الصدر الأول للإسلام يسألون كبار الصحابة عن

---

[١٠] الجامع للإمام الترمذي: 118/2.

تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وغريب ألفاظه. كما روى عن الصحابي المشهور «عبد الله بن عباس» بأنه كان يُسأل عن معنى ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم، فيفسرها للناس، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربي.

وبذلك لقد شعر العلماء منذ الصدر الأول للإسلام بحاجتهم إلى الشعر العربي للاستعانة به في فتح مغاليق الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة يقول ابن عباس ﷺ: إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب[١١].

فأكبوا عليه يروونه ويحفظونه ويدرسون أساليبه ومعانيه، وما يدور فيه من ذكر لأيام العرب ووقائعهم.

كما أن العلماء عكفوا على تلقي علوم القراءات وعلم الأصوات؛ لبيان الوجوه التي قرئت بها آي الذكر الحكيم، وقد ظلت موضوعات هذه البحوث يأخذها الناس عن القراء عن طريق التلقين، حتى جاء العصر العباسي، فاهتم العلماء بتدوينها، وضبط قواعدها، ونقد أسانيدها، فتقدموا بها شوطا كبيرا في سبيل الكمال.

وبالجملة أن العلماء ما زالوا يبذلون جهودا مشكورة في خدمة كتاب الله العزيز منذ نزوله، سواء تتعلق تلك الخدمة تعلقا مباشرا بتفسير القرآن، وتوضيح آياته، وتبيين معانيه، واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها، بالبحث في دلالة اللفظ، واشتقاق الصيغ، وتركيب الجمل والأسلوب والصور الكلامية، واختلافها باختلاف المقام، حتى إن الدراسات التي تتعلق بالرسم الإملائي، والفلك، والرياضة، واستكناه أسرار الطبيعة. كل هذه الدراسات قامت أساسًا لخدمة الدين

---

[١١] الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي: 119/1، القاهرة سنة 1368هـ.

الإسلامي، ولغرض فهم القرآن الكريم، مصدر التشريع الإسلامي، ودستور المسلمين.

حين ومن هؤلاء العلماء العباقرة الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري. اعتنى الشيخ منذ نعومة أظفاره بكتاب الله عز وجل، واهتمّ بفهم معانيه وتذوقها، وقد حظي بأساتذة وشيوخ ومشتغلين بالقرآن الكريم بمصادر علومه القديمة والحديثة، فأشرفوا على دراسته وتذوّقه لآياته وتفسيره ومعانيه وعلومه فبرع فيها، وحينما عيّن مدرّسًا في جامعة دارالعلوم ديوبند كُلّف بتدريس معاني القرآن الكريم وعلومه إلى جانب العلوم الأخرى، وألقي دروسَ القرآن أمام الطلاب بجدارة وأهلية مشكورتين.

كان يبين خلالها خصائصه ومزاياه وعلومه، واختار منهجا يختلف عمّا اعتادته الأوساط التدريسية للقرآن في مدارس الهند، وشق طريقا جديدا في التدريس وتقديم المعلومات الوافية الكافية عما يتعلق بالقرآن وسوره، وآياته وقصصه، فهو يذكر الأحوال والظروف والأمكنة والأمم التي ورد ذكرها فيها، ثم يتحدث عن نزول هذا الكتاب السماوي الأخير، وأهميته وقيمته ومزيته بين الكتب السماوية الأخرى.

وعَقِبَ معالجة الشيخ التدريسَ أعواما طوالاً يقدّم إلى نشأ اليوم تفسير «هداية القرآن». وقد بدأ يؤلفه الشيخ مولانا «كاشف الهاشمي» على أسلوب جديد، ومنهج رائع ولكنه لم يتمكن من إكماله حتى توفّاه الله ربّه عزوجل، وقام الشيخ كاشف الهاشمي بتفسير القرآن من الجزء الأول إلى الجزء العاشر. ثم تقدم الشيخ البالن بوري في إكماله حتى وُفِّقَ لتفسيره من الجزء العاشر إلى الجزء اخامس عشر، والعمل يجري وسيَنْتَهي كما أن الشيخ البالنبوري حقّق وأعاد النظرَ إلى ما ألفه الشيخ الهاشمي فاستأنف التفسير في مواضع عديدة حسب دأبه. فتلقاه الناس بالقبول، واختير في مناهج بعض مدارس البنات.

وقد ركّز المؤلف تركيزا خاصا على بيان ارتباط آية بآية أخرى وسورةٍ بسورة

أخرى. فاقرأ عبارته تعتقد أنها مقالة سلسلة.

ومن طريقة سيره في هذا الكتاب أنه يعرّف السورة كلَّها أوّلا فيذكر اسمها، ورقم السلسلة، ورقم النزول، وكيفية النزول، وفضائل السورة، بالإضافة إلى تقديمه الأحوال والظروف والأسباب التي نزلت السورة فيها.

كما أنه يقدّم في الحاشية تحقيق الكلمات الصعبة وتحليلها تحليلا حرفيّا، وتركيبا نحويّا بالإضافة إلى مراجع الضمائر المشتبه... مما يُسهّل على القرّاء إساغة العبارة وفهمها فهما مستقيما.إنه كتاب موضوعي فريد، ومنهل عذب صاف لدارسي القرآن الكريم، والمعنيين ببلاغته وإعجازه[١٢].

---

[١٢] استفدنا في هذا الموضوع نفسه من الكتاب.

# الفصل الثانى

## مساهمة البالنبورى في علوم الحديث

لايقتصر جهوده فى مجال الحديث فى طرق التدريس الناجحة؛ بل توسع نطاقها إلى الشروح والمؤلفات بالعربية والأردية فصار كثير التأليف فى العصر الراهن. وقبل أن النستوعب خدمات الشيخ البالنبورى فى علوم الحديث يجدر بنا أن نأتى بتعريف الحديث لغة واصطلاح، وهو فيمايلى:

فالحديث لغة - كما يقول الإ مام السيوطى: أصله ضد القديم وقد استعمل فى قليل الخبرى وكثيره؛ لأنه يحدث شيأ فشيأ

وفى اصطلاح المحدثين: هوماثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله أو فعله أوتقريراته. والمراد بالتقرير هو ما فُعل بحضرته ولم يُنكر عليه بل سكت عليه أو ضى به. وقد أدخل بعض المحدثين أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم فى الحديث أيضا. قال شيخ الإسلام ابن حجر فى شرح البخارى: الحديث فى عرف الشرع ما يضاف إلى النبى صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أوتقريرا أوصفة كأنه أريد به مقابلة القرآن، لأنه قديم. وموضوعه: ذات الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أنه رسول. وغرضه هو الفوز بسعادة الدرين.ولله درّ من قال: أهل الحديث هم أهل النبى وإن لم يصحبوانفسه أنفاسه صحابوا. وعن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:اللهم ارحم خلفائى.قلنا: ومن خلفائک يا رسول الله ؟ قال : الذين يرون أحادثى ويعلّموها الناس. وعن ابن مسعود قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضّر الله امرأ سمع مقاله فحفظها ووعاها وأدّاها كماسمعها.

وقد بذل الشيخ البالنبورى سعيا مشكورا فى نشر علوم الحديث وتدريسها وألتأليف فيها وإليك بعض الكتب المهمة فيها:

## 1 – تحفة الألمعي شرح سنن الترمذي:[١٣]

هذا شرح لسنن الترمذي إحدى أمهات الست وسنن الترمذي له مزايا لا توجد في غيره من الأمهات الست ولا في غيرها من كتب الحديث، وذلك للاهتمام الذي قام به مؤلفه في اختيار أحاديث الأحكام، ولالتزامه بخصائص وميزات أصبح به هذا الكتاب يسدّ مكانا. يجعل منفردا في جوانب مهمة عديده في علم الحديث الشريف، وبذلك نال تقديرا عميقا من المهتمين لعلم الحديث وأصبح مما لا يستغني عنه مستغلٌ بهذا الفن.

فقام الشيخ البالنبوري بشرح هذا الجامعة من الأ حاديث النبوية شرحا وافيا، وحل المشكلات والمعضلات فيه، ويطلع القاري على خصائصه ومزاياه وقت المطالعة أنه امتاز باشتماله على فوائد كثيرة معتمدًا على شروح مختلفة ومراجع شتى، وبالتزامه ما يلزم من البحث والتحقيق في هذا العلم المهم الشريف على نهج كبار الشراح الذين تلقت

---

١٣ فقد جمع فيه المؤلف فقه الحديث ومتنه، يأتي بحديث أو أحاديث ثم يذكر آراء الفقهاء وعملهم، ويتكلم عن درجة الحديث صحةً وضعفا، ويذكر ما اشتمل عليه السند من العلل ويذكر طرق الحديث، فكأنه جمع بذلك غرض البخاري ومسلم، وذكر الطرق في مكان واحد. وأضاف إلى ذلك ذكر المذاهب المتناولة وغير المتناولة، وفوائد أخرى يتميز بها عن غيره.

ومن أهم خصائصه التي تفرد بها من بين الأمهات الست إشارته في آخر كل باب إلى من روى الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الموضوع، ويرشد الناظر بذلك في أول نظرته إلى أن متن الحديث مروي عن كذا من الصحابة. وهذه ميزة بديعة لم يساهمه فيها أحد ممن ألف في هذا الموضوع.

ويروي الذهبي عن أبي علي منصور بن عبد الله الخالدي قال: قال أبوعيسى: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق والخراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذاالكتاب – يعني الجامع – فكأنما في بيته نبي يتكلم.

ويروي المقدسي عن الإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري بهراة، وجرى بين يديه ذكر أبي عيسى الترمذي فقال: إن كتابه عندي أنفع كتاب من كتاب البخاري ومسلم؛ لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منها إلا المتبحرالعالم، وكتاب أبي عيسى يصل إلى فائدته كل أحد .انظر مقدمة الشيخ حبيب الله مختار على معارف السنن ص-38

ولقد شرح هذا الكتاب كثير من العلماء السلف والخلف حسب اجتهادهم باللغة العربية والأردية وما إلى ذلك؛ ولكن لم يكن هناك شرح باللغة الأردية يتناول جميع جوانب الكتاب من بيان مذاهب الأئمة الأربعة وأدلتهم، والمناقشة بين أراء شرح الحديث ومشكلات الكتاب، وترجمة النص العربي إلى اللغة الأم وتزيينه بالإعراب.

الأمة شروحهم بقبول عام.

وهو مجموع إفادات وتحقيقات لصاحبنا الشيخ سعيد أحمد البالن بوري ألقاها وأفادها في تدريسه لجامع الترمذي وذلك حينما أفرغ أوقاته لتدريس مادة الحديث ولايزال يمارسه إلى الآن. وقد قيّد هذه الإفادات والتحقيقات تلميذه وابنه البار الشيخ حسين أحمد البالنبوري حين حضر درسه الحافل عام 1426هـ/ 2005م وكان الولد البارّ يقوم بهام التدريس آنذاك في الجامعة الإسلامية العربية المسجد الجامع بمدينة «امروهه» منذ سبعة أعوام. درّس خلالها «الجامع للإمام الترمذي» و«المجلد الثاني من صحيح البخاري» و«المجلد الأول من الصحيح للإمام مسلم» ثم التوى التدريس استجابة لأمر والديه سعيد أحمد، وقيد أفاداته وتحقيقاته ودوّن أماليه وحرّرها – فجزاه الله أحسن الجزاء – .

**من خصائص الشرح:**

أما الخطوات التي اتبعها الشارح العلام خلال الشرح، فمنها: أنه يتخذ في البداية عنوانا، ثم يشرح القضية شرح المدرس لمادة من المواد في الفصل الدراسي أمام الطلاب، مستخدما الأمثلة لتقريب المعاني والموادّ. وكل ذلك بترتيب منطقي جميل هو بارع فيه، وبأسلوب أردي سهل يتقنه استاذ مؤهل متفنن مثله، ثم يثبت في إطار النص العربي الذي يكون قد أورد شرحه بالطريقة المذكورة مشكَّلا لحد لازم، يسهّل على الطلاب والعلماء إساغته وإدراك ما بين الجمل والمفردات من روابط. ويضع خارج الإطار ترجمة حرفية للنص العربي على شاكلة ما يصنعه المدرس في الفصل- الترجمة التي قد يكون فيها إخلال بالأسلوب الأردي المستقيم، ولكنها تقرب فهم النص العربي إلى الدارسين. ثم يشرح الفاظ صعبة حينما دعت إليه الحاجة، كما يضيف معلومات ضرورية بعنوان «فوائد».

ومن خصائص الشيخ أنه لايمشي على شاكلة معظم المشتغلين بشرح الكتب

العربية بالأردية؛ حيث إنهم يسردون مذاهب الأئمة الأربعة المتبعة ثم يشيد أحدا من تلك المذاهب. وأما شيخنا البالنبوري فيقول: لما كانت المذاهب الأربعة على الصراط المستقيم فلا حاجة إلى ترجيح واحد منها ولا تمسّ أية حاجة إليه، ولكنه يجب أن تتضح الأسباب والعوامل التي دعت إلى الاختلاف فيما بينهم.

ومنها أن الشيخ البالنبوري لا يقتصر في بيان المسائل والقضايا؛ بل يتوسع نطاقه إلى تعليم الكتاب وتفهيم الفن ومعالجة الكلمات الواردة كلها في الجامع الترمذي. ولا يترك كلمة أو حرفا من الكتاب يمر به دون أن يشرحه شرحا وافيا، كما هو يلقي عنايته الخاصة على تشكيل النص العربي حسب ما اقتضته الحاجة.

وفي أعقاب شرح العبارة وحلها يأتي بالمسائل المهمة المعنية للعبارة المذكورة فلقد حدثت في عصرنا هذا مسائل وأبحاث لا يوجد لها ذكر في كتب المتقدمين فإنها مسائل جديدة لم تكن منصوصًا عليها قبل هذا العصر، فالتزم بأن يأتي بها وبأحكامها الشرعية في مواقعها المناسبة، إما بتصريح من فقهاء عصره، أو باستنباط من الكتاب والسنة، وكلام الفقهاء المتقدمين.كما وضع الأرقام على كل رواية يسهل التلقى للقراء الكرام. [١٤]

### 2ـ تحفة القاري في شرح صحيح البخاري:

من المعلوم لدى العلماء أن المسند الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح للإمام البخاري (المتوفى 256هـ) أول الكتب الستة، وأفضلها عند الجمهور على المذهب المختار، وأصبح تلو كتاب الله في المزايا التي قالها في كتاب الله الحكيم: «لا يخلق بكثرة الرد ولا يمل قارؤه،

---

[١٤] ماخوذ من كلمة المرتب لـ«تحفة الألمعي» ص:41.

ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه» فأضحى كالشمس في كبد السماء. وبلغ إلى أقصى القبول والمجد والثناء. فانتهض أعيان الأمة وأعلام العلم في كل عصر من أقدم العصور إلى هذا اليوم لشرحه والتعليق عليه، وتلخيصه واختصاره، أو ترتيبه وتأليف أطرافه، أو شرح تراجمه أو ترجمة رجاله، أو بيان غريبه، أو وصل مرسله وتعليقاته، أو تعيين مبهمه، وإبراز فوائده ولطائفه حديثا وفقهاء، وعربية وبلاغة، ووضعا وترتيبا، وتوزيعا وتبويبا، حتى في تعداد حروفه وكلماته وما إلى ذلك. وجملة القول: أنه لم يعتن الأمة المحمدية – على صاحبها ألف تحية وصلاة – بعد الاعتناء بكتاب الله العزيز الحكيم مثل الاعتناء بصحيح البخاري، فبلغوا غاية الجهد في إبراز علومه وخفاياه من معادن، واستخراج معارفه وأسراره من خزائنه.

فمن تلك الشروح الماتعة شرح «تحفة القاري» التي قام به الشيخ سعيد أحمد البالنبوري، فإنه منذ سنوات يقوم بهام تدريسه خير قيام شاعرا بالمسؤولية، ويحل معضلاته، ويشرح غوامضه، ويكشف القناع عما في أبوابه وتراجمه من خبايا الكنوز ومغاليق الأسرار، فتكون دروسه كلها متوسطة بين الإطناب الممل والإيجاز المخل، كما تكون ملقاة بأسلوب يتسم بالروعة والتنسيق، والحماس والصياغة الجميلة، مُمِدّ بالجد والهزل بنسبة متَّزِنَةٍ، مما يجعل الطلاب منتبهين كلَّ الانتباه لا يعتورهم شيء مما يُصنَّف ضمن السآمة أو الإغفال الفِكري الذي ينتاب المُتَلَقِّين والمستمعين إذا كان الحاضر أو الخطيب يفقد لباقَة الطرح التي هي ميزته البارزة بين كثير من معاصريه، فليس أستاذ يمتهن التدرس لكسب لقمة العيش فقط، أو لملأ الفراغ في حياته أو يعمل موظفا لأنه لم يجد عملا؛ فهو يمارس التدريس مجردا من كل معنى للحرص والاهتمام.

وإنما هو أستاذ ملهم ومعلّم مطبوع يجمع معظم الخصائص التي ينبغي أن يمتاز بها كل من يُصَنّف «مُعلِما مثاليا» فهو يجهز الدرس ويحضر المحاضرة قبل أن يلقيها. وهو يحمل قدرة الإقناع وتقريب المواد إلى أفهام الطلاب بأسلوبه الممتع، ولسانه

الرشيق ورصيده الثر من الدراسة المختمرة، وقبل ذلك وبعده بذكائه المتيقظ وحضور بديهته وإرهاف ذهنه.

وذلك كله جعل درسه لصحيح البخاري فريدا، جمّ المنافع، كثير الإفادة ينتظر الطلاب بعد ما ينتهون من درسه يوماً درسَه الذي سيُلقيه في اليوم التالي، انتظارَ المحِب لحبيبه.

وإذا كانت الدروس متشحة بهذه الصفات العذبة فلا بد أن نلقي آذانا صاغية تسمعها، وقلوبا واعية تستقر فيها مهما كانت الحجب صفيقة والستائر مرخاة. غير أن الدروس – بالغة ما بلغت من الحسن والجمال – سرعان ما يتسرب إليها العفاء والاندثار حين ينفرض السامعون جيلا بعد جيل. فمست الحاجة الملحة إلى الاحتفاظ بهذه الدروس النافعة منقوشة على صفات الكتب والأسفار؛ كي لا تذهب أدراج الرياح.

ومن هنا قام نجله الشيخ المفتي حسين أحمد حفظه الله بجمعها وتنسيقها وطبعها وإخراجها باسم «تحفة القاري» وقد طلعت منه سبعة مجلدات، ويكاد يصدر المجلد الثامن، ويقع كل منها في نحو 600 صفحة بالقطع الكبير، وسيتم شرح المجلد الأول من الصحيح في ثمانية مجلدات إن شاء الله، بمقدمة جميلة تُعتَبر كتاباً مستقلا ذَكر فيها إلى جانب ذكر أهمية الحديث والسنة وحجيّتهما، ومدارج تدوين الحديث وترتيبه التاريخية، وتاريخ جمع الكتابَ والسنة، مسائلَ مهمة نافعة للدارس والمعلم، لا يتسغني عنها قارئ للكتاب.

وبذلك فقد انتقلت هذه الدروس من كونها أعراضا لا تثبت ولا تستقر إلى كونها جواهر قائمة بالذات متأصلة بالجذور مساحة في جنبات الأرض، وموجودة بمتناول كل من هبّ ودبّ من رغاب علوم الحديث.

**ميزاياالشَرْحِ ومنهج المؤلّف فيه:**

لاريب أن الأبواب والتراجم في الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري من أدق البحوث والمطالب، وأعمقها غورا، وأبعدها مدى، حتى اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في تراجمه، وأصبح ذلك شعارا لهذا الكتاب يتميز به عن الكتب الأخرى على جلالة قدرها وفخامة شأنها وأصبح مقياسًا لفطنة العلماء وتوقد ذكائهم وسيلان ذهنهم وخفيت على فهم كثير من الشراح والمدرسين، حتى قال الكرماني: «إن هذا القسم عجز عنه فحول العلماء من الأعصار، والعلماء الأفاضل من الأمصار، فتركوها بأعذاره».

بين أن كبار العلماء وأعيان الأماثل قد قاموا بشرح بعض هذا القسم، منهم الشيخ ناصر الدين أحمد بن محمد المعروف «بابن المنير» الإسكندراني (المتوفى 683هـ) وسمى كتابه «المتواري على تراجم أبواب البخاري» لكنه مختصر لا يستوعب جميع الأبواب.

وكذلك توجد رسالة في شرح الأبواب والتراجم لشيخ المشايخ الإمام ولي الله الدهلوي صاحب حجة الله البالغة وهي رسالة وجيزة المباني غزيرة المعاني تكاد تكون كلها أصولا كلية ونكتا حكيمة في فهم التراجم والأبواب. كما يوجد رسالة في هذا الموضوع للعلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف بـ«شيخ الهند».

وتمشيا على خُطا مشايخه اهتم مؤلف «تحفة القاري» بشرح أبواب الجامع الصحيح وتراجمه قاطبة، وتكلم على أبوابها وتراجمها باباً بابًا، وترجمة ترجمةً وبذلك أغنى طلبة علم الحديث ومدرسية عن تتبع هذا الموضوع في كل كتاب، والتقاط الدر من كل بحر.

هذا و قد اهتم بشرح المسائل التي اختلف فيها أهل المذاهب الأربعة وبيان الدافع إلى الاختلاف، فبعد مراجعة الشرح يعتقد القاري بأن الاختلاف بين أهل السنة والجماعة

لفظي فحسب. أما النزاع الحقيقي فهو مع الفرق الباطلة، فقام بالتعريف بالفرق الضالة، وبيان أسباب ضلالتهم وانحرافهم عن الدين الحنيف.

وفي بداية الشرح مقدمة بسيطة تُعَدّ كتابا مستقلا تكشف عن علم المؤلف الغزير، ومطالعته الواسعة، وعكوفه على العلم، واطلاعه المدهش على دواوين الحديث ونذكر فيما يأتي عناوين جانبية يحتضِنُها المقدمة هذه:

تعريف الحديث والسنة وحجيتهما، ومراحل تدوين الحديث وترتيبه التاريخية، وبيان تاريخ جمع الكتاب والسنة مفصَّلا، الحاجة الماسّة إلى تقليد إمام من الأئمة الأربعة، عدد الأحاديث في الصحيح للبخاري، وما إلى ذلك من المسائل المهمة المعَقّدة التي يستفيد منها العلماء وطلاب علم الحديث.

وكان الطلاب فيما مرّ من الزمان واقفين على شرح الأحاديث قبل التحاقهم بالصف النهائي. فكانت الأساتذة يتصدون لحل تراجم الصحيح للإمام البخاري الذي هو من أصعب الأمور في الكتاب، ولا يعتنون بشرح كل حديث خلال الدرس، غير أن اليوم قد تغير الزمان، فمعظم الطلاب يجهلون عن شرح الأحاديث عند التحاقهم بالصف النهائي، وقد اهتم الشيخ البالنبورى بشرح كل حديث في كل باب؛ كي يبرد كل طالب مساهمٍ في الدرس غلته العلمية، ويرجع إلى وطنه ومعه قدر كبير وحظ وافر من معاني الكتاب والسنة

### 3 *فيض المنعم لمقدمة صحيح مسلم*

إن مقدمة الصحيح لمسلم أول كتاب وضع في أصول الحديث، وكان الإمام مسلم بن الحجاج القشيري يضع نصب أعينه في تاليف المقدمة أن يذكر الأسباب والحوافز التي حفزته إلى وضع الصحيح، والتركيز على طريقة اختيار الأحاديث الصحيحة من الضعيفة؛ ولكنه عالج من خلال المقدمة كثيرا من مبادئ في علم أصول الحديث. وأشبع

الكلام على رواة الأحاديث وأصنافهم وترجمة حياتهم وما يتعلق بهم من حكم تجاه قبول رواياتهم أو ردّها، وكذلك اعتنى فيها بذكر تعريف الأحاديث الغريبة وأحكامها وما إليها من أمور لازمة أخرى تتصل بعلم الحديث وأصوله.

ونظرا إلى دقتها وصعوبة إدراك معانيها كانت الحاجة أكيدة إلى وضع شرح سهل لها يمهد الطلاب السبيل إلى فهمها، والخوض في معانيها في أسهل أسلوب وأقرب وقت، فجاء هذا الشرح في إطار هذه الحاجة، يفي بحاجات طلاب الحديث.

استهل المؤلف شرحه هذا بذكر ترجمة حافلة للإمام مسلم، عالج فيها اسم الإمام ونسبه وأسرته وولادته ورفقاءه وأساتذته وتلاميذه ورحلاته في سبيل العلم، وانطباعات الأئمة الكبار من العلماء والمحدثين عنه، ومؤلفاته، وميزات كتابه الجامع الصحيح في الحديث، وما إلى ذلك من أمور نافعة.

وركز فضيلته عنايته على ترجمة المقدمة بالأردية ترجمة سلسلة سهلة، وعلى شرحها شرحا، يأخذ بمجامع قلوب الطلاب، ويتجذر في أذهانهم. كما أنه شرح الكلمات الصعبة، وأتى بتحليل نحوي وصرفي لها ينفع الطلاب في فهم المقدمة.

### 4 *زُبْدَة شرح معاني الآثار*

من المعلوم لدى الكل أن فقهاء الأمة والأئمة المجتهدين بذلوا جهودهم المضنية في التعرف على أوامر الله عز وجل ونواهيه، وفي تحقيق المسائل الشرعية واستنباط الفروع عن الأدلة الأربعة.

فمن أصحابنا معاشر الحنفية العلامة الحجة، فقيه الكتاب والسنة قامع البدع والهوى الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى إنه قد قام بتصنيف الكتاب المسمى بـ«شرح معاني الآثار» لتوضيح الروايات المختلفة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام الشرعية، وللردّ على الملحدين الزائغين المنكرين

لحجية الحديث ورفع ما بين الأحاديث الشريفة من التعارض الظاهريّ. كما يصرّح به الإمام الطحاوي نفسه في بداية كتابه قائلاً:

«سألني بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتابا، أذكر فيه الآثار الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام التي يتوهم فيها أهل الإلحاد والضعفة من أهل الإسلام: أن بعضها ينقص بعضا، لقلة علمهم بناسخ من منسوخها، وما يجب به العمل منها، لما يشهد له الكتاب الناطق، والسنة المجتمع عليها...» إلخ[١٥]

فالسبب الداعي إلى وضع هذا الكتاب الردّ على أهل الإلحاد؛ ولكنه يسوق فيه تبعاالمحاكمة بين أدلة المسائل اللافية، يأتي بالأخبار التي يتمسك بها أهل الخلاف في تلك المسائل ويخرج من بحوثه بعد نقدها إسنادا ومتنًا بما يقنع به الباحث.

ولاشك أن هذا من أحسن مصنفاته وأنفعها فائق على غيره مشتمل على فوائد كثيرة. ومن أجل ذلك ظل لأهل العلم والبصيرة عناية خاصة به. فكم من عالم قام بتلخيصه وشرحه والكلام في رواته فقد لخّصه العلامة الحافظ ابن عبد البر، والحافظ الزيلعي صاحب «نصب الراية» وفي العصر الراهن قام بتلخيصه الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري تمشيًا على ذلك المِنوال. وأما الدافع إلى جمعه فقد يبيّنه الشيخ نفسه قائلاً:

«قد درستُ كتاب الإمام الطحاوي قبل ثلاثين عاما في الجامعة الأشرفية بـ«راندير» في مديرية «سورت» من ولاية «غوجرات» (الهند) فكتبت زبة مباحثه إلى تمام كتاب الطهارة، وكان المقرر في الدرس «كتاب الطهارة» فحسب... ثم لما فوض إليّ تدريس الكتاب بجامعة «دارالعلوم» بديوبند سنة 1404هـ قبضت ما كتبت. وكان الدرس ينتهي في هذه الدار كذلك إلى تمام كتاب الطهارة، فلم أتجاوز منه إلا قليلاً، وكانت الأوراق عندي أستفيد منها أنا وبعض أصحابي، حتى وهنت الأوراق، وكادت تضيع، فرأيت الصواب في طبع الكتاب رغم كونه ناقصا رجاء أن يتحفظ فلا يضيع»[١٦].

وألحق الشيخ البالنبوري في آخر كتابه هذا مقالة باسم «شرط الإمام البخاري في صحيحه» وإنها مفيدة لطلاب الحديث النبويّ الشريف.

---

١٥ شرح معانى الآثار،1/1

١٦ تقديم شرح معانى الأثار لصاحب الترجمة ،ص،5

## 5 *شرح علل الترمذي:*

هذه رسالة وجيزة معروفة بين العلماء بكتاب العلل الصغير للإمام الترمذي، وهو في الأصل ليس في موضوع العلل؛ بل هو تكملة لجامع الترمذي. قد صنف الإمام الترمذي كتابه الفريد المسمى بالجامع في موضوع السنن، ورتبه على الأبواب الفقهية، وذكر فيه أقوال الفقهاء، وبين علل الأحاديث وأحوال الرواة، وأقوال الفقهاء، وأقوال أئمة الجرح والتعديل. وأما في هذه الرسالة فقد بين فيها مقاصد الجامع ومصادره، وأوضح مصطلحاته، كما صنف الإمام مسلم مقدّمة وبيّن فيها بعض آرائه، وكما كتب الإمام أبوداود السجستاني رسالةً إلى أهل مكة ذكر فيها منهاجه وخطّته التي اتبعها في وضع السنن، كذا بين الإمام الترمذي في هذا الكتاب مقاصد الجامع والمسائل التي ياتي ذكرها فيما يلي:

أفاد أن الأحاديث كلها معمول بها، ما عدا اثنين.

أتى بأسانيد أقوال الفقهاء بالإجمال.

أودع فيا مأخذ علل الأحاديث وأحوال الرواة ومصدرَها.

سَاقَ الدافعَ إلى ذكر أقوال الفقهاء وبيان علل الأحاديث وتاريخ الرُّواة.

وقف بجانب الذين يجوّزون الكلام في الرّواة صيانةً للدين ممّا يُبيئه من الأحاديث المخترعة الموضوعة، وردّ على الذين ينكرون عليه.

ذكر أهمية الإسناد وجرحِ الرواة الضعفاء.

أثبت أن الاحتجاج برواية من يتهم بالكذب أو يضعّف لغفلته أو لكثرة خطئه غير سديد إذا كان متفردا بها.

وكذا لا يحتج بأحاديث تفرد بها أهل الصدق غير الحفاظ.

قدّم الدلائل على جواز الرواية بالمعنى وكذا على جواز اختصار الحديث إذا لم يتغير بهما المعنى.

ذكر الحفاظ المتقنين وتفاضل درجاتهم فيما بينهم.

تكلم على التسوية بين حدثنا وأخبرنا.

ذكر جواز الرواية بالمناولة المقرونة بالإجازة.

بين حكم الحديث المرسَل، وذكر اختلاف العلماء في قبوله وردّه.

وبيّن اختلاف الأئمة في توثيق الرجال وتضعيفهم، كما اختلفوا فيما سوى ذلك من المسائل العلمية، وأشار إلى أنه قد يأخذ عن رجل ضعيف عند غيره، ثقةٍ عنده.

تفرّد بتعريف الحديث الحسن عن سائر المحدثين.

وختم الكتاب بذكر أنواع الحديث الغريب الثلاثة عند أهل الحديث، وكشف القناع عن وجوهها بذكر الأمثلة.

فقد ظهر من المسائل المسرودة أعلاه المبحوثة في الرسالة: أنها ليث في موضوع العلل؛ لأن العلة في اللغة: ضعفٌ في الشيء. وفي الاصلاح: عبارة عن سبب غامض خفيّ قادح في الحديث، تُوقّف عليه عَبرَ التحقيق وإمعان النظر، مِن الناقد الفَهِم البصير، مع سلامة ظاهرة.

وموضوع هذا العلم: هو حديث الثقاتِ الجامعُ شروطَ الصحة ظاهرا.وغايته كشف ما يعتري هؤلاء الثقات من الخطأ والوهم.

وتُدرَك العلة بتفردّ راو، وبمخالفة غيره له، مع قرائن تَضَمّ إلى ذلك، تُنبّه العارفَ على وهم وقع في الحديث. وتقع العلة في الإسناد، وهو الأكثر. وقد تقع في المتن، وقد تطلق العلة على كذب الراوي، وفسقه وغفلته، ونحوها من أسباب الضعف.

فهذا هو موضوع علم العلل، وليست الرسالة منه في شيء، على أنه ليس كتابا مستقلا من كل وجه؛ بل هو تابع للجامع من وجه. فإنه لم يكتب البسملة في بداية الرسالة كما هو دأب المتقدمين. والإسناد إلى الترمذي لم يذكر في النُسخة المصرية، ولا في شرح العلل لابن رجب.

وكذا قول الإمام الترمذي في بداية الرسالة: «جميع ما في هذا الكتاب»: إشارةً إلى الجامع دليلٌ واضح على أن هذه الرسالة ملحقة بالجامع.

وأما الشيخ البالنبوري فقد دَرَّسَ الكتاب في الجامعة الأشرفية بـ«راندير» بولاية «غوجرات» وعلّق عليه تعليقات وجيزة مفيدة، ولكنها لم تُطبع لأسباب حتى كادت الأوراق تتمزق وتراكمت عليها الأتربة ونسجتها العنكبوت، إذ ترجم الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الغفار البستوي، مدرس الحديث الشريف بالمدرسة الأمينية بـ«دهلي» الكوكبَ الدرّيَ إلى اللغة الأدرية باسم «الطيب الزكي» فلما كاد يتخلص منها أشار عليه الشيخ البالنبوري أن يترجم كتابَ العلل إلى الأردية كذلك ثم يُدرج فيه الكوكب، ليكون نافعا للطلاب.

فاستجاب الشيخ عبد الغفار هذه المشورة وترجمه بتمامه وأسِل الترجمة إلى الشيخ البالن بوري ليُعيد فيها النظر، فلما قام الشيخ بهذا العمل اشتاق إلى طبع ما علق من قبل. وأضاف إليه ما في الكوكب الدري من الفوائد الثمينة، واقتبس من شرح علل الترمذي للعلامة عبد الرحمان بن رجب الحنبلي: تحقيق الدكتور همام عبد الرحمان سعيد، ورقّم الكتاب، وعنونه وفَصّله. فصار الكتاب غضا طريّا.

وطبع المتن منفردا في بداية الشرح ليدرّس في الجامعات الإسلامية بسهولة فازداد الشرح إفادة ونفعا للطلاب والمدرسين[١٧].

### 6 محفوظات:

لقد ظلت المدارس الإسلامية في الهند وفي بلاد أخرى مُعْتَنِيَةً بتحفيظ الطلاب

---

[١٧] استفدنا في هذا الموضوع نفس الشرح لصاحب الترجمة، ص:5.

آيات القرآن والأحاديث النبوية؛ فإن للمحفوظات أثرًا كبيرًا في تزويد الطلاب بفهم الكتاب والسنة، وتغذيتهم بما سلك عليه الأمة المسلمة عبر أربعة عشر عاما من المنهج السويّ الصراط المستقيم، كما أن المحفوظات تؤهّل الطلاب لقراءة النصوص العربية قراءة صحيحة. يرى العقلاء أن حفظ جملة يساعد المرء على قراءة عشر جمل.

ولا يخفى أن المحفوظات تعين المرء في فهم كلام المخاطب فإن المرء إذا يحفظ نصًّا من النصوص سرعان ما يفهمه بالنسبة إلى ما لم يحفظه من نصوص أخرى.

وبالإضافة إلى ذلك يدرك الطلاب فوائد المحفوظات بعد تخرجهم من المدارس الإسلامية، وحينما يرجعون إلى بيوتهم ويلقون الخطب والمواعظ أمام الناس، فالطلاب الذين لديهم حظ كبير من المحفوظات يقدرون على إلقاء الخطب مرتجلا بدون أن يعوق هدفهم الخطأ أو النسيان أو فقدان الموادّ.

فنظرا إلى تلك المنافع الهامة كان الشيخ سعيد أحمد البالنبوري يشعر بحاجة ماسة إلى جمع آيات وأحاديث مختصرة تتعلق بجوامع ومنابع الحكم، والمواعظ السنية، ومعالي الأخلاق ومحاسن الآداب من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فشمّر الشيخ عن ساق الجد و أعدّ مجموعًا مشتملا على آيات وأحاديث في ثلاثة أجزاء صغيرة الحجم كبيرة النفع للطلبة المبتدئين، واقتبس الأحاديث من كتب الأحاديث المختلفة. يدلّ الاقتباس على علو كعب المؤلف في الكتاب والسنة وعظيم مكانته في العلم والعمل. وقد نال المجموع قبولا عاما لاشتماله على معان يقتضيها العصر الحاضر من إصلاح الفرد والمجتمع، وتصحيح عقائدهم وإصلاح أعمالهم وترغيبهم إلى أمور الآخرة.

يذكر الحديث أو الآية أولا، ثم يعزوه إلى مأخذه، ثم يترجمه إلى الأردية، وأحيانا يشرح النص شرحا موجزا وافيا.

## 7- *تحفة الدُّرَرْ:*

شرحٌ بالأردية لـ«نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر» لصاحبه الإمام أبو الفضل حافظ ابن حجر على العسقلاني (المتوفى 852هـ) ألفه الإمام حول موضوع «أصول الحديث» وهو ليس اسما لفهم الحديث الشريف واستخراج المسائل الفرعية من ألفاظه؛ إنما ينال ذلك المرام بالتضلع من أصول الفقه. أما أصول الحديث فهو يتناول موضوع توزيع الأحاديث لأجل الاتصال والانقطاع، كما يتعلق بتقسيم الأحاديث لأجل اختلاف مصادره رفعا ووقفا، ولأجل اختلاف الحكم عليها صحة وضعفا، إلى جانب انطوائه على مناقشة الأحاديث لأجل نفردها أو تعدد طرقها، بالإضافة إلى معرفة الصحابة والتابعين، ومعرفة أصحاب المذاهب الأربعة المتبوعة، والتعريف بالكتب الستة وأصحابها وأنواع كتب الحديث وقد ألّفت كتب كثيرة حول هذا الموضوع قبله ما بين صغير وكبير؛ ولكن الله سبحانه وتعالى أتاح له قبولا عاما ما لم يُتح لغيره من كتب أخرى.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب:

«فإن التصانيف في اصطلاح أهل الحديث قد كُثرت وبُسِطت واختصرت، فسألني بعض الإخوان أن ألخّص له المهمّ من ذلك، فأجبته إلى سؤاله؛ رجاء الاندراج في تلك المسالك».

ولذا شرح له العلماء في عصر من العصور وضموه في مقررات دراستهم؛ ولكن لم يكن هناك شرح بالأردية، يشرح له شرحا وافيا مقنعا، يحل معضلاته ويكشف القناع عن مشكلاته، فسَدّ الشيخ البالنبوري هذا الفراغ بكل ما أوتيه من قوة عارضة وإشراق بيان وتيسير مادة